لم تعرفه ـ 176/2). ولهذا فإنها تتعلم الكتابة من أجل (المكاتبة)، ومصطلح المكاتبة يتضمن الغدر والخيانة والفحش، ويعني استخدام الثقافة من أجل إقامة جسور العشق وتسهيل سبل الخيانة وتوريط الحبيب في علاقة مغشوشة هدفها الابتزاز والاتجار بالجسد، وهذا ما يوضحه الجاحظ في استفاضته عن مضامين المكاتبة لدى الجواري وعن غاياتها ووسائل الفحش فيها (ص172/2).

فالمكاتبة ـ إذن ـ وسيلة ثقافية للفحش، وجسد الجارية بضاعة مشاعة لكل من وقع في حبائل الخداع، وتكون الثقافة والجسد عند الجارية شرطاً شيطانياً وعلماً من أعلام إبليس تنتظم خيوط هذه الأشراك من لغة الجسد ولغة الخطاب (المكاتبة).

تلك هي صورة الجارية، وحقيقة ثقافتها كما يصورها أحد أهم مثقفي العصر وأحد أبرز ممثلي الثقافة الذكورية. وهو كما رأينا لا يهاجم ولا يسب ولكنه يكتب رسالته هذه من باب الدفاع عن علاقته بالقيان. والجاحظ يكتب ما كتب قاصداً الإيجاب والدفاع والمنافحة، ويقول في ذلك:

(وضعنا في كتابنا هذا حججاً على من عابنا بملك القيان، وسبنا بمنادمة الأخوان، ونقم علينا إظهار النعم والحديث بها، ورجونا النصر إذ قد بُدينا والبادي أظلم وكاتب الحق فصيح ـ 146/2).

إنه كاتب يكتب الحق ويقرر حقائق وليس يطلق صفات. ولذا فإن قوله في القيان لم يكن ذما لهن ولكنه من فرط المدح ـ كما يقول الجاحظ بثقة كاتب الحق الفصيح.

هذه ـ إذن ـ صورة الجواري في ذلك العصر، وهذه ثقافتهن. وأمام ذلك تأتي حكاية (تودد) لتواجه ثقافة عصرية راسخة، ثقافة مضادة وجائرة تقلص الجارية إلى جسد شبقي فحشي، وتقلص ثقافتها إلى مجرد (مكاتبة) وليست كتابة. وبين المصطلحين فرق كبير بين الطهارة والفحش